صراع الإمام يحيى والإمام محمد بن علي الإدريسي وموقف الدولة العثمانية منه (1911 ـ 1914م)

محمد أحمد عكام الهادي

قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة صنعاء

Ma777242909@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v2i1.30

الملخص

تضمن هذا البحث الصراع الذي دار بين الإمام محمد بن علي الإدريسي والإمام يحيى بن محمد حميدالدين في الفترة من 1911 ـ 1914م، وبروز التعاون العثماني مع الأخير ضد الأول، بالإضافة إلى التعاون الإيطالي مع الإدريسي، وموقف القبائل المتردد تارةً مع الإدريسي وأخرى مع الإمام يحيى، وامتد حتى تمت السيطرة الإدريسية على تهامة، والإمامية على الهضبة.

الكلمات الدالة: *الإمام يحيى– الإدريسي– الدولة العثمانية– القبائل*

Imam Yahya and Imam Mohammed Bin Ali Al-Idrisi's conflict and the attitude of the Ottoman state towards it

Abstract

This study tackled the conflict between Imam Muhammad bin Ali Al-Idrissi and the Imam Yahya bin Muhammad Hamid al-Din from 1911 – 1914 and the prominence cooperation of Ottoman with the first against the second. In addition to, there was an Italian cooperation with Al- Idrissi and a hesitated tribal attitude toward the two that extended even till the complete control of Al-Idrissi on the Tihama and Emamiyah on the plateau.

مقدمة البحث:

اهتم هذا البحث بدراسة الصراع بين السيد محمد بن علي الإدريسي والإمام يحيى، موضحاً دور العثمانيين ومؤازرتهم للأخير، كون الأول يعد خصماً قوياً في تهامة، ومدعوماً بقوى أجنبية متمثلة بتعاون الإيطاليين ودورهم البارز في الوقوف معهم، كما وضح الصراع بين الإمام يحيى والسيد محمد بن علي الإدريسي على منطقة الهضبة اليمنية والذي انتهى بخسارة الأخير.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على السؤال التالي: ما أسباب صراع الإمام يحيى مع الإمام محمد بن علي الإدريسي؟، وماهي نتائجه؟.

أهداف البحث:

1- توضيح موقف الدولة العثمانية من الصراع بين الإمام يحيى ومحمد بن علي الإدريسي.
2- التعاون بين السيد محمد بن علي الإدريسي والإيطاليين.
3- توضيح دور القبائل مع الإدريسي والإمام يحيى.
4- السيطرة الإدريسية على تهامة والساحل، وسيطرة الإمام يحيى على الداخل والمرتفعات الجبلية.

منهجية البحث: استخدم الباحث المنهج العلمي التاريخي بالاطلاع على المصادر والمراجع الأساسية والثانوية للبحث وتحليلها في السياق التاريخي للأحداث.

ـ موقف الدولة العثمانية من الصراع بين الإمام محمد الإدريسي والإمام يحيى:

بعد صلح دعان عام 1911م، بين الإمام يحيى بن محمد حميدالدين، وعزت باشا (الشرقي، 2004، 219)، قابل أبناء اليمن هذا الصلح بالفرح والابتهاج، فهو يعلن بداية للسلم ونهاية لحرب عشواء أحرقت الأخضر واليابس كان وقودها أبناء هذا الشعب (سالم، 1993، 162)، في المقابل ساءت العلاقة بين الأول والإمام محمد بن علي الإدريسي، وتبادل الاثنان الاتهامات (سالم، 2003، 310)، وبناءً على ذلك سعى عزت باشا في فتح الحرب ضد الإدريسي، متحججاً بتعاونه مع الإيطاليين ضد الدولة العثمانية، وسعى لسحقهم، وقدَّم المساعدات للإمام يحيى وزوده بالأسلحة والذخيرة، ودفع ديات أتباعه الذين يُقْتَلُون في المعارك ضد الإدريسي (الشرقي، 2004، 219)، وللعلم كان الإمام يحيى يرى أن العثمانيين ليسوا بالعدو الحقيقي له، فهم راحلون عن البلاد لامحالة إن عاجلاً أو آجلاً، بل إنَّ عدوه اللدود هو الإدريسي، حيث وهو المنافس الخطير له في تهامة، فهو أولى بالخصومة(سالم، 1993م، ص316).

ـ المفاوضات بين الإمام يحيى والإدريسي:

على الرغم من دعم العثمانيين للإمام يحيى لخوض حرب ضد الإدريسي، لكنه لم يكن ليخضع لمطالبهم، وذلك لعدم وجود دليل واضح لتعاون الأخير مع الإيطاليين، ولابد من التريث وتحري الدقة في الأمر، على ضوء ذلك بعث الإمام يحيى عام 1911م بوفد يتكون من أربعة أشخاص، وهم السيد أحمد بن يحيى عامر(11 جمادي الآخرة 1282 ـ 29 شعبان 1356هـ الموافق 1 نوفمبر 1865. 4 نوفمبر 1937م)، ولد في الأهنوم، عين عاملاً على مستبأ عام 1321هـ الموافق 1903م، قاد حملة إلى خولان الطيال عام 1324هـ الموافق 1906م، وضبط الأمور فيها، توفي في مسقط رأسه بالأهنوم بعد أصابته بالفالج، (زبارة، 2010، 170 . 174) ، والسيد محمد بن علي الذاري (العلامة محمد بن علي بن أحمد بن حسين بن يحيى بن أحمد بن لطف الباري المعروف بالذاري: (رمضان 1287 . ربيع الثاني 1344هـ الموافق 26 أكتوبر 1870 . أغسطس 1925م)، ولد في خبان بهجرة الذاري ونشأ بها وطلب العلم في ذمار، توفي في مسقط رأسه عن ست وخمسين سنة، (زبارة، 2010، 614 . 615)، والسيد عبدالعزيز بن المتوكل، والسيد محمد بن محمد الشراعي، وقابلهم الإدريسي بحفاوة وكرم، وتبادلوا الحديث معه في موضوع الصلح، وسألوه عن علاقته بإيطاليا، وتَلَقِّي المدد منهم، فاعترف لهم بذلك وأن الظروف هي من دَعَته، واستطاع إقناعهم بأن علاقته مع الإيطاليين لا تشكل خطراً على الدين والبلاد، ووعد بعدم التعدي على أي منطقة تقع داخل نفوذ الإمام يحيى، وإذا حصلت أي مشكلة فإن مرجعهم إلى الشريعة الإسلامية، في ضوء ذلك قام أعضاء الوفد بحثه على الاتفاق مع الدولة العثمانية، وبعد التحري والتدقيق عاد الوفد، ونقل حسن ظَنِّه عن اللقاءات التي تمت مع الإدريسي (العزب، 1986، 86 . 87)؛ مع العلم أنه لا يستطيع مواجهة الإمام يحيى في حالة تأزمت العلاقات بينهما (النجار، (د.ت)، 83).

ويمكن القول إن عزت باشا بعقد هذا الصلح ـ دعان 1911م ـ استطاع زرع العداء بين الإمام يحيى والإدريسي، وإن موقف الأول الديني يمنعه من الوقوف مع أي قوة معادية للإسلام، وأما سبب إرسال الوفد من قبل الأول إلى الأخير لم يكن إلَّا بمثابة إنذار له، فلم يثق في كلامه، وهو يعلم بصلته الوثيقة بالإيطاليين، وكان كمبرر للهجوم عليه في أقرب فرصة مواتية.

ـ ثورة الإدريسي والقبائل ضد الإمام يحيى:

بعد عودة الوفد الذي بعثه الإمام يحيى إلى السيد محمد بن علي الإدريسي، لم يلتزم بما وعدهم به، حيث بدأ الأخير بتوزيع الأسلحة لقبيلة جماعة (سميت نسبة إلى جماعة بن شرحبيل الأصغر، وهم بطن من قضاعة، ثم من حمير، تقع شمال غرب صعدة، ومن أعمالها، (المروني، 1990، 177)، ورازح(تنسب إلى رازح بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وتقع إلى الغرب من صعدة، وتشتهر بزراعة الرمان والفواكه، وينسب إليها جماعة من العلماء أشهرهم: صلاح بن أحمد الرازحي العلوي الصنعاني (ت1115هـ/ 1203م)، والعلامة علي الرازحي الصنعاني (1326. 1396هـ/ 1908 ـ 1975م)، (المروني، 1990، 176. 178)؛ (الحجري، 1996، 355)، وعمل على تدبير المكائد، وتوزيع الأموال على رؤساء القبائل وطلب منهم القدوم إليه، ووعدهم بتحقيق أمنياتهم، في ضوء ذلك بدأت القبائل ثورتها ضد الإمام يحيى منذ بداية جمادي الأولى1330هـ الموافق 18 إبريل 1912م، وشعار الإدريسي مرفوع، وقبيلة سحار(من

نواحي صعدة، من قبائل خولان بن الحاف بن قضاعة، وأصلها صحار بن خولان، وفي بلاد صعدة ناحية سميت باسم قبيلة سحار، من توابعها عزلة ولد مسعود، وعزلة الأبقور، وعزلة الطلح، وعزلة بني معاد، وغيرها، (الحجري، 1996م، ص416) تموج وتضطرب، ووصلت الأنباء إلى الإمام يحيى بأن قبيلتي حجور (سميت نسبة إلى حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن جُشم بن حاشد، وهي بلد واسع من همدان، تقع شمال غرب صنعاء، تتصل بها من الشمال بلاد خولان، ومن الشرق بلاد حاشد، ومن الجنوب حجة، ومن الغرب تهامة (عبس، وبني مروان، وبني نشر، والواعظات)، وتشمل حجور الشام، واليمن، والبشري، للاستزادة انظر: (الحموي، 2009، 88)؛ (الحجري، 1996، 240 . 242)؛ وبني مروان(من قبائل تهامة ناحية حرض وميدي، (الحجري، 1996، 706) ستنضمان إلى الأول، مما جعله في موقف حرج، فالبلاد مستهدفة والخطر يحوم حولها، فأمر السيد محمد الإدريسي بدأ يظهر للجميع، والخطر قادم على الأبواب لامحالة، وإيطاليا تمده بالمال والسلاح، وبكل ما تستطيع من قوة، ولا بد من استئصال هذا المرض قبل أن يصيب البلاد كلها ويقضي عليها، من هذا المنطلق بدأ الإمام يحيى بدعوة قبائل الهضبة لمقاومة المد الإدريسي، والوقوف في وجهه، كما عمل على استغلال الفرصة، فساق الكثير من الرؤساء إلى المناطق المتنازع عليها مع الإدريسي، وأمدهم بالسلاح والذخيرة، كل هذا وقبائل بني جماعة ورازح وسحار ثائرة ضد الإمام يحيى، والأول يعمل ليل نهار لمد رجال القبائل بالسلاح والذخيرة، وجيشه يسيطر على أطراف البلاد، والمدد الإيطالي يفيض عن ما سبق، وفي ذات السياق عملت إيطاليا على التواصل مع الإمام يحيى وإغرائه بالهبات، وأخذت تخطب رضاه، وترجوه أن لا يقاوم السيد محمد الإدريسي، ولا يعترض سبيله، وكان تواصلهم معه عن طريق سفارتهم في عدن والقاهرة(العزب، 1986، 88 –89).

ويمكن القول هنا أن سبب استدعاء الإمام لقبائل الهضبة هو كونها بعيده عن بلاد الإدريسي، فهي غير خاضعة أو تابعة له، بل ولم تكن دعوته قد وصلت إليها بعد، أضف إلى ذلك ضمان ولائها له كونها قبائل زيدية. ثم إن قبيلتي بني جماعة ورازح كانتا من القبائل التي أصغت إلى الإدريسي لحاجتها للمال وقد دعمها بالكثير منه، ولم يستطع الإمام توفير المال لهم ، فانضمتا إلى جيش الأول للحاجة إليه. والسبب الذي يقف وراء موقف الإمام ضد حركة الإدريسي هو خوفه على الجزيرة العربية من الضياع والوقوع تحت طائلة الحكم غير الإسلامي وسيطرة الإيطاليين عليها.

ـ مراحل الصراع بين الإمام يحيى والقبائل الموالية للإدريسي:

بعد أن اقتنع الإمام يحيى بوجوب محاربة الإدريسي، وهو ما تهدف إليه الدولة العثمانية وتتمناه، فقد حاولت مسبقاً ذلك لكنه رفض الوقوف معها إلا بأدلة واضحة، فعندما توفرت لديه هذه الأدلة عمل على وجوب صيانة البلاد وحمايتها من شره، وبعثت الدولة العثمانية معونتها وساندته بكميات كبيرة من السلاح والذخيرة، وفي ذات السياق أسرع باستنفار القبائل المحيطة بصنعاء، واستدعى المخلصون من جميع أنحاء البلاد، وخاصة بعد الاضطرابات الحاصلة في صعدة، أضف إلى ذلك أنها ـ الدولة العثمانية ـ جهزت ثلاثة طوابير بكامل معداتها لتكون تحت تصرفه، فقبلها منهم وأضاف عليها رجالاً من جنوده لحمايتها من القبائل التابعة له عند مرورها في بلادهم، فمن المحتمل أن يتعرض لهم أحد بسوء، كما قام بتوفير النفقة اللازمة للجيش ولحيواناتهم التي تحمل الأثقال، في المقابل اجتمعت قبيلتا جماعة ورازح ومن معهم في صف الإدريسي، والتقى الفريقان في منطقة العرو(جبل بالغرب من صعدة ويبعد عنها حوالي 37كم، وفيه مساكن بني بحر بن خولان، (الحجري، 1996، 599)، وانتهت هذه المعركة بفرار جند الإدريسي من مواقعهم ثم تجمعوا مرة أخرى في شعب حي(سمي نسبة إلى قبيلة من قضاعة ثم من خولان بن عمرو بن الحلف من صعدة، وهو من بلاد صعدة، (الحجري، 1996، 302)، ودارت معركة حامية وفروا مرة أخرى (العزب، 1986، 90)، ووصل جيش الإمام يحيى إلى أطراف شعب حي، وحصن الموشح(من أكبر حصون وشحة، وهو شامخ ومنيع يقع فوق أعلى قمة جبل الظاعن، في مديرية وشحة، التابعة لحجة، يطل على هاوية من الشرق، يقوم على أرض صخرية شديدة الانحدار، ويحاط بسور دائري يتراوح ارتفاعه بين 10 ـ 12م، جدرانه صلبة ومنيعة تحتوي على أبراج دفاعية، ونظراً لارتفاعه فإنه يشرف على الأماكن المحيطة به، يبلغ ارتفاعه حوالي

2700م عن سطح البحر، (جحاف، 2013، 121 . 124)، وعاهم، وقارة، ومزرعة، وجهات حجور والشرف(الشرقي، 2004، 212)، وغنموا أسلحة كثيرة، وفرت جموع رازح، لكن خلافاتٍ سرت بين قيادات الجيش الإمامي أدت إلى فتور همة الجنود، وانعكس ذلك سلباً عليهم(العزب، 1986، 90)، ونتيجة لتلك العوامل أعاد الإدريسي ترتيب جيشه ليهاجم صعدة والسنارة(بلدة مشهورة من أعمال صعدة فيها مركز ناحية سحار، (الحجري، 1996، 432)، والصمع (حصن من صعدة يقع إلى الجنوب منها، يبعد عنها حوالي 10 كم، بمحاذاة قلعة السنارة، يعود تاريخه نحو مائتي سنة، وتحتوي على عدد من الغرف والحصون والحواجز المائية، (المقحفي، 2002، 918 . 919)، وعلى النقيض من ذلك سارعت الجيوش الإمامية لتدبير خطة محكمة للدفاع عنها، وتقوية الخطوط الإمامية في الجبهة المواجهة لجيش الإدريسي، ونشبت المعارك في الشط (عزلة من ناحية صعدة تابعة لقضاء سحار، زارها الباحث بتاريخ 12/2/ 2015م)، والطويلة (عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار، (الحجري، 1996، 559) التابعة لبلاد همدان، وفي ظل تلك الظروف انتصرت الجيوش الإمامية رغم استمرار الحرب لعدة أيام، وسيطروا على أطراف بني جماعة، وانتهت بهزيمة السيد محمد بن علي الإدريسي والقبائل الموالية له، وبناءً على ذلك سارع الأخير إلى فتح جبهة أخرى في حجور، وخدع بني سعد (من قبائل شافعي ناحية خولان صعدة، وبنو سعد من وشحة، (المقحفي، 2002، 790)، وبني أحمد من بني هني(بني أحمد من بني هني: عزلة من وشحة وأعمال حجة، (الحجري، 1996، 60) من قبائل حجور وأمدهم بالمال والسلاح والرجال(الشرقي، 2004، 213 . 214، 602)؛ (العزب، 1986، 90)، وقد حققت قواته بعض النجاح (الشرقي، 2004م، ص214)، وحاول أسر عامل الإمام في حصن الموشح، الجدير بالذكر أن قبائل بني مروان، ومستبأ (ناحية من أعمال حجة، تقع شمال غربها، وتبعد عنها حوالي 162كم، ومساحتها 285 كم^2، وتضم 56 قرية، ويتبعها وادي الحمرة، والخميس، والجراشة، وبنو رسام، والمسهلة، وغارب، والمدومي، وجبل عبيد، (المقحفي2002، 1511)؛ (جحاف، 2013، 134)، والخميسين(من بلاد حجور، وتتبع خيران المحرق المذكورة، (جحاف، 2013، 163 ـ 164)، وبني سعد، وبني هني تجمعت بسرعة خاطفة وانضمت إلى جيش الإدريسي في يوم 12 ذو القعدة 1330هـ الموافق 23 أكتوبر 1912م(العزب1986، 91)، وأحاطت بحصن الموشح، في المقابل وجه الإمام جنوده إلى حجور لردع الخطر، واشتدت الحرب حول حصن وشحة، وثبت فيه رجال الإمام المحاصرون حتى وصل إليهم المدد، وفك الحصار عنهم، وهاجموا جيش الإدريسي بكل قوة وبسالة، ففرقوهم وشتتوا شملهم، ومزقوهم كل ممزق، ثم تجمع جنود من أتباع الإدريسي للسيطرة على قارة(عزلة من ناحية وقضاء وشحة، في حجور الشام شمال شرق حجة، وتبعد عنها بحوالي 225 كم، وتبلغ مساحتها 298 كم^2، وتضم 83 قرية، (جحاف2013، 126 . 130)، لكن الجنود الإمامية كانت لهم بالمرصاد، وهزمتهم شر هزيمة، ومن ثم اتجه الإدريسي بدعوته إلى أسفل بلاد حجور تحديداً بلاد عاهم، وقد جنحت إليه بعض القبائل واتبعت دعوته، فبدأ تحصينها وبعث الجنود إليها لحمايتها، في المقابل تجمعت قوات إمامية كثيرة من مختلف القبائل الموالية للإمام يحيى في حصن كشر(تقع شمال شرق حجة، وتبعد عنها بحوالي 165 كم، بلغت مساحتها حوالي 342,8 كم^2، مركز ناحية كشر، وهي ناحية من قضاء وشحة، وتنقسم إلى تسع عزل، يتبعها عاهم، وعاهم بني شهر، وأنهم المشرق، والحماريين، وأنهم الغرب، وبني داوود، والعبيسة، وخميس اليزيدي، وخميس القاضي، ويبلغ ارتفاع كشر عن سطح البحر حوالي 2500م، (مجهول، 2008، 60)؛ (الحجري،1996، 665)؛ (المقحفي، 2013، 665)؛ (جحاف، 2013، 130 . 133)، وبدأت القوات الإدريسية بالتوجه إلى وادي مزرعة (عزلة أنهم ناحية كشر قضاء وشحة، زارها الباحث بتاريخ 12/2/ 2015م)، وكانت تحمل معها أسلحة حديثة وذخيرة، ونشبت بين الفريقين معركة حامية الوطيس في المنطقة المحيطة بعاهم، وامتدت حتى وصلت إلى الخميسين، انتصرت فيها القوات الإمامية (العزب، 1986، 92)، وأشعلت النار في بيت الخميسي أحد رجالات السيد محمد الإدريسي في المنطقة، واشتبكت مع القوات الإمامية في بني حملة(عزلة من ناحية خيران المحرق، (جحاف، 203، 163)، مع ذلك امتدت قوات السيد محمد الإدريسي إلى بلاد الشرف(جبل واسع شمالها، وتبعد عنها بمسافة

202 كم، يصل ارتفاعها نحو 2500م عن سطح البحر، بلغت مساحتها الكلية حوالي 66,9كم^2، وتتكون من خمسة مراكز، (جحاف، 2013، 155)، وقاموا بمطاردة أهلها التابعون للإمام يحيى، واستقروا في جياح (عزلة من ناحية أفلح اليمن من بلاد الشرفين، من قراها علكمة والعرمة، والمخنجف، وبني يوس، والحارثي وغيرها، (المقحفي، 2002، 378)، وبدأت الاضطرابات تجتاح بلاد الشرف، ونتيجة لذلك وصلت الجيوش الإمامية إلى المنطقة، واشتبك الفريقان في عدة معارك لكنها كانت خفيفة، وامتد الميدان من حجور إلى بلاد الشرف، وكل منهما يدعم قواته بالرجال والسلاح والذخيرة، وبدأت الحرب تهدأ في ربيع الأول 1331هـ الموافق مارس 1913م، حيث جرت محادثات بين العثمانيين والإدريسي، وفي ظل تلك الظروف تغلب الجند الإمامي على قبيلة سحار وما حولها؛ وفي الوقت نفسه وصلت الأنباء من الأستانة بخسارة الدولة العثمانية في حرب البلقان مما أثر نفسياً ومعنوياً على عساكرها في اليمن، أضف إلى ذلك زيادة التكاليف التي استنفذتها في الحرب، فقد بلغت مبالغ باهضة، وأصبح الحال لا يسر صديق؛ وبعد أن انتهت الحرب في سحار توجهت الجيوش الإمامية إلى قبيلة جماعة ورازح ومن إليها ممن انضموا إلى جيش الإدريسي(العزب، 1986، 93 . 94).

ـ المفاوضات العثمانية الإدريسية:

في ضوء ذلك انتشر نفوذ الإدريسي بقدر ما انخفض نفوذ الإمام يحيى، وانضمت إليه الكثير من القبائل المنضوية تحت طاعة الأخير، أضف إلى ذلك إنَّ بعض القضاة أخذوا في التواصل معه ـ الإدريسي ـ منذ أوائل 1913م، ويرغبون في مبايعته، وأصبحت سلطته عامة في عسير وتهامة(سالم، 2003، 162).

في سبيل ذلك وعند تردي الروح القتالية لدى عساكر الدولة العثمانية وذلك بسبب ضعف موقفها، وتعرضها لخسائر فادحة في جبهات البلقان، وخوف العساكر على أهلهم وذويهم، لأن المعركة كانت دائرة حول الأستانة (الشرقي، 2004، 214)؛ (العزب، 1986، 94)، ونتيجة لذلك سعت ـ الدولة العثمانية ـ للصلح مع الإدريسي، وتم إرسال وفد إليه في ربيع الأول 1331هـ الموافق فبراير1913م برئاسة محمود نديم الوالي العثماني في صنعاء ورئيس تدقيقات المحكمة الحنفية العلامة حسين كامل، وناظر الأوقاف الداخلية بصنعاء السيد العلامة قاسم العزي(علم الدين القاسم بن حسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين بن محمد الملقب الجشام ابن أبي طالب أحمد بن الإمام القسم بن محمد: (رمضان 1291 . محرم 1380هـ الموافق أكتوبر 1874 . يونيو 1960م)، ولد بالروضة، وحفظ القرآن وأتقنه، أخذ عن علماء صنعاء والروضة من مشائخه السيد عبدالكريم بن عبدالله أبوطالب، والسيد المقرئ علي بن أحمد السدمي، والسيد المقرئ علي بن أحمد الشرفي، الذي قرأ عليه النحو والقرآن الكريم غيباً، وغيرهم، برع في الكثير من العلوم، للاستزادة انظر: (زبارة، 2010، 513 . 521)، والقاضي العلامة عبدالكريم بن أحمد مطهر (محرم 1304 . صفر 1366هـ الموافق سبتمبر 1886 . ديسمبر 1946م) ولد في صنعاء، قاضي وعلامة وكاتب قدير، من مشائخه العلامة الحسين بن علي العمري والقاضي العلامة علي بن حسين المغربي والفقيه عبدالكريم بن أحمد الطير والعلامة إسماعيل بن علي الريمي والسيد يحيى بن قاسم الظفري، اشتهر بنبل الأخلاق وكرم الطباع حتى وفاته، (زبارة، 2010، 381 ـ 382)، والسيد العلامة منصب المراوعة عبدالباري بن أحمد الأهدل(1272ـ صفر1335هـ الموافق 1855 ـ نوفمبر 1916م)، أخذ في العربية عن السيد محمد بن أحمد عبدالباري، قام بأعمال الرئاسة بدلاً عن والده المتوفي في رمضان 1295هـ الموافق أغسطس 1878م، (زبارة، 2010، 350)، والسيد العلامة مفتي المراوعة محمد بن عبدالرحمن الأهدل(1274 . جمادي الأولى 1352هـ الموافق 1857 . أغسطس 1933م)، أخذ عن السيد محمد بن أحمد الأهدل وغيره، ورحل إلى بيت الفقيه فأخذ عن الشيخ محمد بن حسن فرج، وذهب إلى الحج وأخذ عن الشيخ عبدالمجيد الشرواني والسيد أحمد بن زيني دحلان، وكان إماماً حجة محدثاً فقيهاً نبيهاً حافظاً، حوى جميع العلوم وتدفق إليه الطلاب من كل حدب وصوب، توفي عن سبع وسبعين سنة، للاستزادة انظر: (زبارة، 2010، 577 . 578)، فوصلوا إلى الحديدة وتوجهوا نحو اللحية، ومكثوا بها فترة من الزمن، وواصلوا السير إلى ميدي قضوا فيها حوالي شهرين يكاتبون الإدريسي لعقد الاجتماع معه في جازان، فأكرمهم أحسن إكرام، ولم يتكلم معهم

في مادة الصلح سوى مع الوالي محمود باشا، وفي حينه أرسل السلطان محمد رشاد أسطولاً كبيراً محملاً بالمدافع العظام والآلات النارية، وذلك للمحافظة على الوالي، فكان محاذياً له في البحر مدة إقامته في اللحية وميدي وجازان يأوي إليه ليلاً ليبيت فيه، وينزل منه نهاراً، لكن النقاش لم يُجدِ شيئاً، وانتهت المفاوضات دون أدنى فائدة، فلم يعلم الناس بما دار بين الوالي والإدريسي، بل كتب الأخير كتاباً إلى حضرة السلطان محمد رشاد مشتملاً على مجموعة من الشروط ثَقَّلَ عليهم فيها، فلم يتم منها شيء، فيما ذكر الواسعي أن الإدريسي لم يقابلهم، وأضاف بقوله: "وبهذا نفرت عنه بعض التهايم لما عرفوا عدم إنصافه"، وعاد الوفد إلى الحديدة في 2 جمادي الأولى 1331هـ الموافق 9 إبريل 1913م(الوشلي، 2008، 110 . 111).

ويمكن القول إن سبب المفاوضات العثمانية مع الإدريسي هو الحرب الكائنة في الأستانة، وخوف العساكر على أهلهم وذويهم، وضعف الميزانية المالية، وعدم استطاعة الدولة تغطية ظروف المرحلة والحروب الكثيرة، أما عن التفاوض وعودة الوفد إلى سفينته ليلاً فهو لعدم وجود الثقة بين الطرفين، وخوفهم من الغدر بهم، ولأن الإدريسي لم يثق بهم وإلا لاستقبلهم في ميدي أو صعد معهم للتفاوض على السفينة، أما مسألة عدم قبول الإدريسي بالمفاوضات فلأنه كان في موضع قوة وعلى علم مسبق بما تتعرض له الدولة العثمانية، ولكون إيطاليا لا ترغب في الصلح أيضاً، وهو فاقد للإرادة ورهين للمصالح الإيطالية، وأداة في يدها تحركه كيف شاءت، أضف إلى ذلك أن هدفها الرئيسي في دعم الإدريسي هو إضعاف قوة الدولة العثمانية وإخراجها من المنطقة، ولن يتم ذلك إلَّا بالدور الذي سيلعبه الإدريسي في المنطقة، فكيف ستوافق على نتائج إيجابية للمفاوضات لصالح الطرفين؟.

ـ هزيمة الإدريسي عام 1913م:

عقد الإمام يحيى الصلح مع القبائل اليمنية ومنها قبيلة بني مروان وخيران(تقع شمال غرب حجة، وتبعد عنها حوالي 150 كم، مساحتها 154كم2، مركزها الحالي مدينة المحرق وسابقاً جبل حديد، تضم 124 قرية تتوزع على المراكز التالية: مسروح، بني حملة، الدانعي، الخميسين، (جحاف، 2013، 163 . 164)، ومستبأ في منطقة حجور، على ضوء ذلك تجمعت الجنود الإمامية في آخر رجب 1331هـ الموافق 5 يوليو 1913م، بهدف القضاء على بني جماعة، واشتبك الفريقان وانتهت المعركة بانكسار الأخيرين، وحدثت جبهة أخرى مع قبائل رازح انتهت بانتصار القوات الإمامية، واستولت على المناطق الجبلية المهمة، كما حدثت معارك خفيفة في شعبان الموافق يوليو من نفس العام على حدود حجور واشتبكت القبائل الموالية للإمام مع القبائل الموالية للإدريسي، وانتهت المواجهات بهزيمة أتباع الأخير، وتحول الإمام من مقره في القفلة(المقصود بها قفلة عذر، وهي في خمر من بلاد حاشد، وتنسب إلى عذر بن سعد بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد، وفيها مقام الإمام المنصور محمد والد الإمام يحي، وفيها حصن عزان، وجبل عيشان، (الحجري، 1996، 595)؛ (المقحفي، 2002، 1033) إلى السودة(مركز مديرية السودة تابعة لمحافظة عمران، وتقع على سفح مستو كثير الحجارة السود، وتقع على سفح جبل يطل على وادي أخرف وعقمان، من ساكنيها آل المعافا من بني عبدالمدان، (المقحفي،2002، 828)؛ (الواسعي،2010، 70)، للقضاء على ثورة نشبت فيها، وفي جبل عيال يزيد(وهم من بكيل التابعين لعمران، وسميت نسبة إلى يزيد بن عوسجة بن ضلع بن ميعيان بن مرهبة الأكبر بن الدعام الأصغر ثم بن بكيل، وتقع غرب عمران، وتتصل بجبال دعان وحاشد وظهر، ويتراوح ارتفاعها إلى 3000م عن سطح البحر، ويحدها من الشمال ريدة، ومن الجنوب الجبل وهمدان، ومن الشرق عمران، ومن الغرب بني صريم، (المروني، 1990، 75).

يمكن القول إن الإمام يحيى استطاع السيطرة على المناطق الجبلية واستردادها من الإدريسي كونها تختلف مع الأخير في المذهب، ونظراً لولاء أهلها للأول، وصعوبة اختراقها، بخلاف تهامة.

ـ الاتفاق بين الوالي العثماني والإمام يحيى:

بعد هزيمة الإدريسي تم عقد اجتماع في حصن السودة بين الوالي محمود نديم والإمام يحيى منتصف شهر شعبان 1331هـ الموافق 20 يوليو1913م، واستمر لمدة أسبوع، اتفق فيه الطرفان على التعاون وتظافر الجهود للوقوف ضد الإدريسي، وكسر شوكته قبل أن يتمكن من بسط نفوذه في البلاد، وتم الاتفاق على تبديل أفراد الجيش العثماني المرابطين في حجور بغيرهم ممن يرغبون في

القتال، واستلم الإمام همايونيًا (الهمايون: المبارك أو المقدس، وهو لفظة فارسية استعملها الأتراك) أُرسِل له من الأستانة بالموافقة على صلح دعان عام 1911م (العزب، 1986، 96، 97).

ـ السيطرة على قبائل حجور الموالية للإدريسي:

بعد الاتفاق بين الإمام يحيى والوالي العثماني محمود نديم وصل الجنود العثمانيون إلى منطقة سحار بدلاً عن القوة التي تحارب هناك، وقد أعد لهم الأول كل لازم على طول الطريق، فبعد وصولهم بدأوا بمباشرة نشاطهم بالتعاون مع الجيوش الإمامية، ونشبت أول معركة حامية الوطيس في أطراف سحار انتهت بتراجع قوات الأخير، لكثرة من أحاط بهم من القبائل، وفي ظل تلك الظروف أعادوا تنظيم صفوفهم وقواتهم، وكبدوهم خسائر بالغة، فهاجموهم من كل جانب حتى سقطت كل معاقلهم التابعة للإدريسي، وأصبحت تحت سيطرتهم (العزب، 1986، 99)، واستمرت البلاد تحت سيطرة الإمام يحيى، في المقابل بدأت الحرب العالمية تلوح في الأفق، ففي عام 1332هـ الموافق1914م أُعلنت الحرب العالمية الأولى، وتوجه جيش الإمام إلى جبل رازح لمهاجمته، واستولى عليه في شعبان عام 1332هـ الموافق يونيو 1914م، ولم ينته هذا الشهر حتى أصبحت بلاد رازح كلها تحت سيطرة الإمام يحيى، وفي شهر رمضان الموافق يوليو من نفس العام تحركت الجيوش الإمامية مرة أخرى إلى بلاد بني جماعة لتطهيرها من أتباع الإدريسي، وتمت السيطرة عليها وفرار القبائل المعادية، وبذلت بنو جماعة الطاعة، وقدمت الرهائن، وقد كلف الإمام الجيش منذ وقت سابق في شهر رجب الموافق مايو بالسيطرة على قبائل حجور الموالية للإدريسي، وهم بني هني، وبني سعد، والقبائل المجاورة لهم، وكانت هناك مناوشات خفيفة، وتمت سيطرة جيش الإدريسي على حصن نعمان(وهو حصن منيع في قمة جبل نعمان، مستطيل الشكل أبعاده 30م طولاً و12م عرضاً (تقريباً)، يتكون من طابقين جدرانه سميكة مبنية بأحجار صلبة، (جحاف، 2013، 78)، ولما أدرك الإمام أن المناوشات مع حجور لن تنتهِ خاصة وأن قبيلتي بني سعد وبني هني تقعان بالقرب من مستبأ وبني مروان، وكانتا في صف الإدريسي رغب في تخفيف عدد الجنود وترك حامية خفيفة تحت إمرة القاضي محمد بن سعد الشرقي (محرم 1282 . 2 شوال 1352هـ الموافق مايو 1865 . 18 يناير1934م)، عالم ومحقق، نزيه، وورع، تحلى بالأخلاق الحسنة، رحل إلى القفلة مع والده سنة 1308هـ الموافق 1890م عند الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميدالدين، تولى أعمال حجور الشام عام 1319هـ الموافق 1901م، أوصى بكل أملاكه لبيت مال المسلمين وتوفي بالقفلة، (زبارة، 2010، 572 . 573)، وأوكل إليه الأمر في تدبير البلاد، وتمكن من رد الإدريسي على عقبه، واستمر الحال على ما هو عليه حتى نهاية العام والحالة في هذا الميدان بين أخذ وَرَد(العزب، 1986، 100 . 102).

ـ محاولة الصلح بين الإدريسي والإمام:

عند نشوب الحرب العالمية الأولى سعت بريطانيا في تخلي الإمام يحيى عن الدولة العثمانية والانضمام إلى الثورة العربية "المزعومة" (أعلنها الشريف حسين على العثمانيين عام 1334هـ الموافق 1916م، وسميت الثورة العربية الكبرى)، مع أنه كان على خلاف مع الإدريسي ومعادياً له، كما طلبت منه أن يتوقف عن خوض أي حرب ضد الأخير، لكنه رفض ذلك متحججاً بصلح دعان عام 1911م، والذي لايزال ساري المفعول (هولفريتز، 1985، 136)؛ (العزب، 1986، 100).

الخاتمة:

يعد صراع الإمام يحيى مع الأدارسة ذا مراحل متعددة منها ماسبق الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918م)، ومنها ماتلاها، وما يهمنا هو الأول، وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

التعاون العثماني مع الإمام يحيى ضد الأدارسة.

التعاون الإيطالي مع الإدريسي.

موقف القبائل المتردد تارةً مع الإدريسي وأخرى مع الإمام يحيى.

قائمة المصادر المراجع:

المراجع المعاصرة:

1. الحجري، محمد أحمد (1996): *مجموع بلدان اليمن وقبائلها* . تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، ط2، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء.
2. الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت (2009): *البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي. جمعها وحققها وبين موضعها* : إسماعيل بن علي الأكوع، ط3، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

3. زبارة، محمد بن محمد يحيى(2010): *نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر*. تحقيق: عبدالله عبدالكريم الجرافي.ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
4. الشرقي، سعد بن محمد (2004): *عشر سنوات من سيرة الإمام المسماة تقييد حوادث إنشاء تجديد الجهاد الثاني*. دراسة وتحقيق: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء.
5. العزب، عبدالله بن محسن(1986): *تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الأخير)*. تحقيق: عبدالله محمد الحبشي،ط1، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
6. مجهول(2008) *صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء*. تحقيق: حسين بن أحمد السياغي، ط3، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.
7. الواسعي، عبدالواسع يحيى (2010)، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن. ط4، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
8. الوشلي، إسماعيل بن محمد (2008): *نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن*. تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، ط1،مكتبة الإرشاد، صنعاء.
9. أباظة، فاروق عثمان: *سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى دراسة وثائقية*. دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
10. جحاف، يحيى محمد (2013م): *حجة معالم وأعلام*.ط1، دار الكتب اليمنية، صنعاء.
11. سالم، سيد مصطفى (1993م): *تكوين اليمن الحديث (اليمن والإمام يحيى 1904 ـ 1948م)*. ط4، توزيع دار الأمين للنشر والطباعة، القاهرة.
12. سالم، سيد مصطفى(2003): *مراحل العلاقات اليمنية السعودية (1158 ـ 1353هـ / 1754 ـ 1934م)*. ط1،مكتبة مدبولي، القاهرة.
13. المروني، محمد عبدالملك(1990م): *الثناء الحسن على أهل اليمن*. ط2، دار الندى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
14. المقحفي، إبراهيم أحمد (2002): *معجم البلدان والقبائل اليمنية*. دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
15. النجار، مصطفى عبدالقادر: *الوثائق البريطانية وأهميتها في كشف المصالح البريطانية في جزيرة العرب بعد الحرب العالمية الأولى* (1918 ـ 1926م). [د.م]، [د.ت].
16. هولفريتز، هانز(1985م)، *اليمن من الباب الخلفي*. تعريب: خيري حماد، ط3، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء.